وان يلجأ الي الله في رفعه ودفعه وسوء الحساب في الدنيا والاخرة فان الكاير يحاسب
نفسه كل يوم حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا فان راوا في المحاسبة ما يسر شكروا
الله عليه والا عاتبوا النفس بما يكون زجرا لها وشدة العذاب في الدارين اما في
الدنيا فمنه ما فيه حرق النفس الامارة عن هواها بالرد الي ما يرضي مولاها من غاية
التعب واما في الاخرة فما ورد من انواع العقاب فيها من الجحيم والحميم والزقوم
والحيات والعقارب والسلاسل والاغلال والانكال وغير ذلك من الالام والعقوبات
وعطف سوء الحساب وشدة العذاب علي غم الحجاب من عطف المسبب علي المسبب
وان ذلك اي ما ذكر من الحجاب وما ذكر معه او تسبب عنه من العذاب لو وقع
نازل بالعباد ما له من دافع يدفعه عني وعنهم ان لم ترحمني اي كل ذلك نازل
بي ان لم تداركني رحمتك الواسعة ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم
من احد ابدا وفي الحديث لن يدخل احدكم الجنة عمله قالوا ولا انت يا رسول الله
قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وعقب شكواه من غم الحجاب وما عطف عليه
بقوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ثلاثا لما ورد انه ما دعا
به عبد مسلم في شيء قط الا استجيب له وفيه ان كل من قال ذلك من المؤمنين
اذا اصابهم او استعمله منهم نجاه الله كما في ذا النون بقوله وكذلك ننجي
المؤمنين وقوله ثلاثا لان التثليث يسن في الدعاء ونحوه ولقد شكي اليك
يعقوب ابن اسحاق ابن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام بقوله انما اشكوا بثي
وحزني الي الله والبث عظيم الحزن فخلصته من حزنه ورددت عليه ما ذهب
من بصره وجمعت بينه وبين ولده بعد ان كانت عدة فراقهما ثمان عشرة او اربعين
او ثمانين سنة ولقد ناداك نوح بن لامك بن ادريس من قبل اي قبل يعقوب
بقوله لا تذر علي الخ فنجيته اي خلصته من كربه اي من الغرق وتكذيب قومه
ونصرته عليهم ولقد ناداك ايوب ابن مطوع بن ناريخ بن عيصو ابن اسحاق
ابن ابراهيم وعيصو هو ابو الروم فايوب رومي وكان في زمن يعقوب
ابن اسحاق من بعده اي بعد من ذكر لما ابتلي بفقد جميع ماله وولده بهدم بيت
عليهم وتمزق جسده وهجر جميع الناس له الا زوجته ودعاؤه قوله مسني الضر
وانت ارحم الراحمين فكشفت ما به من ضره بالشفا من مرضه واحيا اولاده
الذكور والاناث وامطر الله له ذهبا وفضة ولقد ناداك يونس ابن متي
ذو النون صاحب الحوت فنجيته من غمه من بطن الحوت ودعاؤه هو قوله
لا اله الا انت الخ واختلف في مبعثه فقيل بعد سليمان وقيل بعد الياس
ولقد ناداك زكريا ابن برخيا من ولد سليمان ابن داود اي دعا ربه تعالى
بقوله

بقوله رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين فوهبت له ولدا من صلبه وهو يحيي عليه السلام
بعد يأس اهله لعقمها وكبر سنه قال رب اني يكون لي غلام وقد مسني الكبر وامرأتي عاقر
اي بلغت ثمان وتسعين سنة وبلغ هو نهاية السن مائة وعشرين سنة ولقد علمت
ما نزل بابراهيم خليلك فانقذته من نار عدوه نمروذ وقصته في التفاسير وانجيت
لوطا ابن هاران اخي ابراهيم واهله من العذاب النازل بقومه فها انا ذا عبد لك
ان تعذبني بجميع ما علمت من عذابك فانا حقيق به اي مستحق له لما جبل عليه العبد
من غاية النقص الذاتي اما بعصيانه او تقصيره في الطاعة وقد تقدم ان الحجاب
سبب لكل عذاب والنقص البشري سببا له لزوما لولا تداركه الرحمة الالهية التي
لا علة لها وان ترحمني كما رحمتهم اي كرحمتك لهم مع عظم اجرامي اقترافي الذنوب
الكبيرة فانت اولي بذلك المتعطف والانعام الدال عليه ذكر الرحمة الواسعة
واحق من الكريم به فليس كرمك مخصوصا بمن اطاعك واقبل عليك بكليته كالانبيا
السابقين بل هو مبذول بالزال المعجمة اي معطي بفضل الله ورحمته بالسبق
اي سبق مشيئتك وارادتك لمن شئت ذلك له في ازلك من خلقك وان
عصاك بما دون الكفر من المعاصي واعرض عنك اي عن طاعتك ولم يقل وكفر
بك لان الله تعالى لا يغفر ان يشرك به الخ وان ربك لذو مغفرة للناس علي
ظلمهم وليس من الكرم ان لا تحسن الا لمن احسن اليك بالاقبال عليك والتزام
طاعتك وعدم مخالفتك وانت المفضال كثير الفضل الغني الذي لا يحتاج الي
شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله بل من الكرم ان تحسن الي من اساء اليك
اي بغير الكفر وانت الرحيم الحلي فلا يضرك عصيان العاصين كما لا تنفعك
طاعتهم كيف وقد امرتنا ان نحسن الي من اساء الينا قال تعالى واحسنوا ان الله
يحب المحسنين وقال ادفع بالتي هي احسن فانت اولي بذلك منا لانك اكرم الاكرمين
وينبغي كما قال ابن عباد ان تسقط لفظة اليك من قوله الا لمن احسن منا وقوله
من اساء لانه لا يحسن احد الي الله ولا يسيء اليه بدليل قوله ان احسنتم احسنتم
لانفسكم وان اسأتم فلها غير انه لا يقدر احد يبدل لفظ الشيخ لانه يري بنفسه
او لانه ما لا يراه غيره وقال ايضا كثيرا ما رايت في النسخ الصحيحة مكتوبا علي
هذا الفصل من كان له مع الله بسط حال وادلال فليناج بهذه الكلمات ومن ليس
له ذلك فليتجاوزها الي ما بعدها وهو قوله ربنا ظلمنا انفسنا انتهى الا ان يقال
ان الشيخ ادمجه فيه فهذا الوهم بقوله وانت المفضال العلي وهو محمول علي سبيل الفرض

Copyright King Saud University